وأنى لا أدرى إذا النفس أشرفت  على هجرها ، ما يفعلنّ بى الهجر (١)

فالمقطوعة الأولى ترسم بالكلمات لوحتين للشيخ الهرم ، الأولى عن ضعف سمعه حتى لا يصله إلا النداء المرتفع ، والثانية عن ملاعبة الصغار وما يتحمله من عبثهم ولهوهم ، ثم يقرر — فى مرارة — حرمانه من الملذات ، وما يعانيه من مرض لا شفاء منه إلا بالموت .

والذى يهمنا فى هذه الأبيات هو الناحية اللغوية ، فلم يحذف حرف العلة من المضارع المجزوم ( لم يناجى ) والعروض هنا من بحر الوافر ، وليست ( فعول ) بل هى ( مفاعل ) ، فخضع النطق بالفعل فى إثبات حرف العلة لموسيقى الوزن — كما حدث أيضا التصرف فى بنية الكلمات ( عظاء — نداء — ملاء — شفاء ) بتسهيل الهمزة ياء خضوعا لمقتضى القافية .

أما أبيات أبى صخر الثلاثة فهى تصوير لأزمته النفسية مع صديقته ، إذ يتحمل ظلمها — مع أن الحق معه — خوفا من هجرها حقيقة ، وما له على هذا الهجر صبر ، بل إنه ليخاف من نفسه إذا أقدمت على الهجر وأشرفت عليه ، فما بالك بالهجر نفسه !!

وفى هذه الأبيات يتضح مدى التصرف فى رتبة الكلمات ، ففاعل الفعل ( يمنع ) تأخر للبيت الثانى وهو ( مخافة ) واعترض بين الاثنين جملتان شرطيتان لاجواب لهما فى النص — ثم التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر ( ما على هجرها صبر ) — وأخيراً الفصل فى البيت الثالث بين الفعل المعلق ( أدرى ) وجملة التعليق الاستفهامية ( ما يفعلن فى الهجر ) بجملة شرطية حدث التصرف فى كلماتها أيضا .

---

(١) الأمالى جـ ١ ص ١٤٩ .